ثمود

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء المدرسية مكتبة

مدارس المدن العراقية خارج بغداد في العصر العباسي

بقلم الدكتور

نافع توفيق العبود

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

نبذة تاريخية :

لا زال البحث في مدارس العراق خارج بغداد في العصر العباسي لم يحظ باهتمام الباحثين . ولعل السبب في ذلك يعود الى ان الكتب التي عنيت بدور العلم ومشاهده كانت في الاصل قليلة وبمناسبة الكتب التي تبحث في المدارس .

ومع ان كتب التاريخ ذكرت القليل منها بصورة عرضية في الغالب ، فان هذا القليل لا يرسم لنا صورة واضحة عن المدارس ، فيما يتعلق بامور نفقاتها وادارتها وتشكيلاتها من المدرسين والمعيدين والطلاب ومدة الدراسة وانواع العلوم التي تدرس فيها .

ومن هنا يتطلب بحث مثل هذا الرجوع الى مصادر اخرى الى جانب كتب التاريخ ، من بينها كتب السير والطبقات وتراجم الرجال والرحلات والمعاجم الجغرافية ... حيث ذكرت جميعها اشارات شتى الى عدد من تلك المدارس ومدرسيها ، تطلب جمعها وترتيبها وعرضها جهدا ليس بقليل ، بغية اعطاء صورة واضحة عن مدارس الماضي وايضاح تاثيرها في ثقافة الناس والحركة الفكرية خلال فترة بحثنا هذا .

واود ان اذكر بان المدارس الواردة في ثنايا هذا البحث هي وحدها التي تمكنا من معرفتها ، ومن المحتمل جدا ان تكون هناك مدارس اخرى في مدن العراق خلال العصر العباسي ، لم تصل الينا اخبارها بل طويت مع ما طوى عنا ، ولعل الايام تكشف لنا عن مخطوطات تواريخ محلية او غيرها لتجلو الغبار عن مدارس اخرى مغمورة بالنسبة لنا الان .

الاوقاف والتعليم :

تعد موارد الاوقاف اهم موارد التعليم على الاطلاق : واليها يرجع الفضل في انتظام الحياة العلمية في مدارس المسلمين ، فقد كانت الدولة الاسلامية تقوم بالصرف على المدارس من موارد الاوقاف العامة « كما فعل نظام الملك من وقف الاحباس على المدارس ... »[1] .

والى جانب هذا كان بعض كبار المثرين يقفون ممتلكاتهم او بعضها على وجوه البر والاحسان التي منها نشر العلم وخدمته[2] ، حتى اننا لنجد ان طائفة منهم سعوا الى تخليد ذكرهم ، فانشاوا مدارس تحمل اسماءهم واوصوا ان يدفنوا فيها بعد وفاتهم .

تشكيلات المدرسة :

لم يصل الينا من المصادر التي تبحث في

---

(١) محمد عبدالرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية : ٢٤٤ .

(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية (الترجمة العربية) : ٢٤٩/٢ .

WWW.ATTAWEEL.COM

المدارس واماكن التعليم الا عدد قليل اذا قيس بتلك الاعداد التي تبحث في الجوانب العلمية الاخرى ، ولعل ذلك يرجع الى اضياع الكثير من الكتب الخطية ، وتدمير الكثير من دور الكتب وخزائنها على ايدى الغزاة المتاة كهولاكو وتيمورلنك .

ومع هذا فباستطاعتنا تكوين فكرة عامة عن (المدرسة) بشكلها المتقن الذي عرفت به بعد تاسيس المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٩هـ على زمن الوزير نظام الملك الطوسي ، اذ اصبحت المدرسة تتكون من : المدرسين والمعيدين ، والطلاب . وسنتناول فيما يلي استعراض لشروط كل منهم :

شروط المدرسين :

بالنظر لعظمة دور العلم ، فان ذلك يوجب توليتها الى المشيخة الجليلة والمدرسين المهرة من اجل رفعة منزلة المدرسة ، ويتوجب على المدرس اخلاص النية في تدريسه ، وان يقصد بتعليم تلاميذه وتهذيبهم وجه الله تعالى دون الاشياء المادية ولعل هذا يفسر لنا قول ابن خلدون « في ان القائمين بامور الدين . . . والتدريس . . لا تعظم ثروتهم في الغالب »(٢) .

ولما كان تعليم العلم من اهم امور الدين ، فقد اشترط في المدرس ان يكون « ذا رياسة وفضل وديانة وعقل ومهابة وجلالة وناموس وعدالة ومحبة في الفضلاء وعطف على الضعفاء المحصلين ويرغب المشتغلين وينصف البحاثين على النفع مواظبا على الافادة »(٤) .

وعليه ايضا تجنب الشدة مع المتعلمين ، وعن هذا عقد ابن خلدون فصلا «في ان الشدة مع المتعلمين مضرة بهم»(٥) .

شروط المعيدين :

يشترط في المعيد ان يكون من صلحاء القوم صبورا على اخلاق الطلبة ، حريصا على افادتهم وانتفاعهم به .

ومن واجبات المعيد في المدرسة ان يعيد للطلاب ما يصعب فهمه عليهم من دروس المدرس ، ولهذا سمي معيدا .

شروط الطلاب :

يشترط في الطالب الاخلاق الحسنة والتواضع والحرص على التعلم وتعظيم المدرس واحترامه وحسن مخاطبته له . وكان عليه ان لا يتهاون بالاداب والسنن « فان من تهاون بالاداب حرم السنن ، ومن تهاون بالسنن حرم الفرائض »(٦) .

وينبغي عليه ان يكثر من الصلاة لان ذلك عون له على التحصيل والتعلم ؛ كما عليه ان يتحلى بالصبر على الدرس والثبات على مدرس واحد وعلى كتاب واحد حتى لا يتركه ناقصا .

المكتبات المدرسية :

كان لابد للمدرسين والطلاب معا من مكتبات في المدارس يرجعون اليها ؛ ويظهر انه كان لكل مدرسة من المدارس الكبيرة مكتبة تناسبها ، يشرف عليها خازن للكتب يساعده مشرف ومناول .

ولما كانت الكتب اداة التعلم ، فقد وجبت العناية بها عند استعارتها والمحافظة عليها عند اخذها وردها ومن آداب الاعارة للمستعير « ان يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيرا »(٧) .

عدد المدرسين والطلاب :

لم تصل الينا معلومات وافية عن المدارس ، لذا فاننا نجهل عدد مدرسيها وطلابها ؛ فلو اخذنا المدرسة الشرابية الشهيرة في واسط كمثال ، لوجدنا منذ افتتاحها سنة ٦٢٢هـ وحتى سنة ٦٨٢هـ اسماء ثلاثة مدرسين من مدرسيها فقط خلال استمرار الدراسة فيها مدة نصف قرن من غير ان نعرف احدا من فقهائها ومعيديها ، وما ينطبق على المدرسة الشرابية بواسط ينطبق على المدارس الاخرى .

اما عن عدد الطلاب فلم تذكر المصادر التي وصلت الينا ان هناك مدارس غصت بهم او اخرى ضاقت بهم . ويبدو ان عددهم كان يزداد حسب شهرة المدرس وعلومه ، كما يفهم من قول الزرنوجي (ت ٥٧١هـ) في فصل عقده في اختيار العلم والاستاذ : « اما اختيار الاستاذ فينبغي ان يختار الاعلم والاورع والاسن »(٨) .

ويبدو ان التخصص في الدراسة كان شائعا في المدارس حينذاك اذ كان بعض الطلاب « يدرس الفقه وبعضهم الحديث ومنهم من يتخصص بالقرآن الكريم وعلومه او العلوم الاخرى »(٩) .

---

(٢) ابن خلدون ، المقدمة : ٣٩٣ .
(٤) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم : ١٩٨ ـ ٢٠١ .
(٥) مقدمة ابن خلدون : ٥٤٠ .
(٦) الزرنوجي ، تعليم المتعلم : ٢٠ ـ ٢١ .
(٧) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم : ١٦٨ .
(٨) الزرنوجي ، تعليم المتعلم : ٤ .
(٩) د. ناجي معروف ، د. عبدالعزيز الدوري ، موجز تاريخ الحضارة العربية : ١٦١ .

مدة الدراسة :

لم نقف على مدة معينة ومحدودة لاستمرار الطالب في دراسته . فالراجح ان مدة الدراسة لم تكن كلها واحدة . بل انها « تطول وتقصر حسب جودة التعليم . اذ كانت المدة المتعارف عليها هي اقل ما يتاتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية »(١٠) ؛ ولابد ان ذلك كان يتوقف على ذكاء الطالب وقابلياته في التحصيل .

المواضيع الدراسية :

ان نشأة المدارس وازدياد عددها دليل على شغف العالم العربي الاسلامي بالعلم ، واقباله على تلقيه . وكان بديهيا ان تحتل العلوم الدينية الصدارة في مناهج التعليم ، حيث كان الصبي يشغل في المدرسة بتعلم القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم اللغوية واحاديث الاخبار .

وقد كانت حرية الطالب مكفولة له في انتقاء ما يشاء من مواد الدراسة ودراسة ما يرغب فيه منها والاعراض عما لا تميل نفسه اليه ولعل هذا يعود الى عدم ضياع سنوات من حياة الطالب يقضيها بدراسة علم لا تميل نفسه اليه . ولكن ينبغي على الطالب « ان يختار من كل علم احسنه مما يحتاج اليه من امور دينه »(١١) .

وكان علم النحو من بين العلوم التي تدرس في المدارس . اذ ان المعرفة الصحيحة للقرآن الكريم تستلزم العلم بالنحو لاعراب الكلمات اعرابا صحيحا.

والى جانب ذلك نال تعليم الخط والهجاء اهتماما في المدارس . فيستدل مما نقله القابسي عن ابن سحنون بعدد واجبات المعلم ان عليه ان يعلم طلابه « اعراب القرآن ذلك لازم له ، والشكل والهجاء والخط الحسن »(١٢) .

ويبدو ايضا ان علم الحساب كان يدرس في بعض المدارس بسبب حاجة الناس الى معرفة قسمة التركات والمواريث .

السياسة العامة في تاسيس المدارس :

تبين لنا من خلال استعراض المواضيع الدراسية التي كانت تدرس في مدارس العصر العباسي . ان السمة الدينية هي الطابع المميز لها ، فقد كانت جميع المدارس تعنى بتدريس القرآن الكريم وتفسيره ثم الحديث ، ثم اصول الفقه ، ثم العلوم اللغوية كالنحو .

وكانت السياسة العامة لمعظم المدارس حينذاك ترمي الى توحيد كلمة اصحاب كل مذهب من المذاهب وتقويته ؛ ولعل خير مثل على ذلك ما قام به الوزير السلجوقي (نظام الملك) بانشائه المدارس النظامية في بغداد والموصل والبصرة وغيرها من المدن الاخرى بهدف تقوية المذهب الشافعي ؛ وتخريج دفعات من الطلاب المثقفين المشبعين بمبادىء هذا المذهب ؛ وتعيين اولئك الخريجين بالوظائف الرسمية كقضاة ووعاظ وائمة مساجد وخطباء ومدرسين وغيرها من الوظائف الاخرى(١٢) . وقد نجحت المدارس النظامية باداء واجبها بشكل مرضٍ كانت له نتائج بعيدة في تقوية المذهب الشافعي .

ومثلما قامت المدارس النظامية بتقوية المذهب الشافعي ، قامت مدارس اخرى بتقوية المذاهب الاخرى ، حيث كانت هناك مدارس حنبلية واخرى حنفية ...

وكان باب القبول ـ على ما يبدو ـ مفتوحا في كافة المدارس ، ولا يتطلب الالتحاق بالمدرسة « غير ذهاب الطالب الى المدرسة حيث يجلس الى الاستاذ الذي يود »(١٤) ؛ مع مراعاة التوفيق بين مذهبه والمذهب الذي تقوم المدرسة بتدريسه .

المدارس وحاجة المجتمع :

لا يكفي تعرضنا لذكر المدارس . واستمرار الدراسة فيها ، اعطاء صورة واضحة عن اهدافها الا بفهم حاجة المجتمع لمختلف انواع العلوم المدرسية آنذاك .

كان المجتمع يحتاج في ادارة شؤونه الى القضاة والكتاب وائمة المساجد .. لذلك كانت المدرسة تضطلع بمهمة الاعداد لمثل هذه الوظائف ، والظاهر انها كانت تسد حاجة المجتمع ، اذ لم نعثر على اية اشارة تشير الى قصورها في اداء مهمتها .

ومما يلاحظ ان مدارس العراق كانت موزعة حسب كثافة السكان وسمة المدن وازدهارها . فبغداد حاضرة العباسيين زخرت بعدد كبير من المدارس التي تطور بعضها الى جامعة كالمستنصرية مثلا ، وكذلك الموصل وواسط وغيرهما .

---

(١٠) عبدالله مشنوق ، تاريخ التربية : ٨٦ .
(١١) الزرنوجي ، تعليم المتعلم : ١١ .
(١٢) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام او التعليم في رأي القابسي : ١٦٤ .
(١٣) الدكتور حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي : ٢٢٥ .
(١٤) محمد عبدالرحيم مغنية ، تاريخ الجامعات الاسلامية : ٢٧١ .

التاثير الثقافي المتبادل بين المدارس :

كانت مدارس بغداد والمدارس القائمة في المدن العراقية الاخرى ، ترتبط بعلاقة تبادل ثقافي فيما بينها ؛ اذ كان بعض مدرسي مدارس الموصل قد درسوا في النظامية ببغداد ، نذكر منهم على سبيل المثال « محمد بن يونس بن منعة ابو حامد عمادالدين الفقيه الشافعي »(١٥) الذي درس في مدارس الموصل : النورية والعزية والزينبية والعلائية .

وكذلك عبدالرحمن بن عمر بن ابي القاسم(١٦) ، الذي درس بالمستنصرية ومدرسة الشيخ حسن ابن دويرة في البصرة .

اسباب توقف الدراسة في بعض المدارس :

لكي نفهم اسباب توقف الدراسة في بعض مدارس العراق ، علينا ان نميز بين تلك المدارس من حيث سمتها واهميتها ومدة الدراسة فيها . فقد كانت بعضها تتوقف الدراسة فيها بموت مؤسسها الذي ربما كان نفسه مدرسا فيها ، او اننا لم نتمكن من معرفة استمرار الدراسة فيها بعد وفاته ؛ حيث تنقطع الاخبار عنها .

★

مدارس الموصل :

كانت الموصل على عهد الدولة الاتابكية من امهات المدن التي ازدهرت فيها العلوم والمدارس . وقد عد الرحالة ابن جبير الذي زارها في اواخر السادس الهجري ستا ونيفا من مدارسها بقوله : « وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست او ازيد على دجلة ، تلوح كانها القصور المشرفة »(١٧) . هذا فضلا عن مدارس اخرى منتشرة في ارجاء المدينة المختلفة والتي يمكن اجمالها جميعها فيما يلي :

(١) المدرسة النظامية

بنى هذه المدرسة الوزير المشهور نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥هـ كجزء من سياسته في تعضيد المذهب الشافعي حينذاك. قال ابن الاثير(ت.٦٣٠هـ) بصدد كلامه عن القاضي ابي محمد بن علي بن الحسن بن ابي خالد الخالدي المعروف بالسديد قاضي الملك : « وبنى له نظام الملك مدرسة بالموصل وهي الان بالقرب من الجامع النوري »(١٨) .

وممن درس بنظامية الموصل : ابو حامد محيي الدين محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري المتوفى سنة ٥٨٦هـ الذي انتقل الى الموصل من حلب بعد ان تولى قضاءها ودرس بمدرسة والده والمدرسة النظامية في الموصل(١٩) .

ودرس فيها ايضا احمد بن نصر بن الحسن ابو العباس الانباري المعروف بالشمس الدنبلي المتوفى سنة ٥٩٨هـ « وكان هذا من علماء الموصل ودرس بالنظامية والاتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية »(٢٠) .

ولا تزال اثار هذه المدرسة شاخصة ، واهم الاثار التي تستحق الذكر فيها هو « محراب نفيس من المرمر الازرق المطعم بمرمر ابيض ، وحول المحراب مكتوب بخط كوفي البسملة وآيات من القرآن الكريم »(٢١) .

(٢) المدرسة الاتابكية العتيقة

يعود تاريخ بناء هذه المدرسة الى سنة ٥٤١هـ وبناها سيف الدين غازي اخو نورالدين (اتابك الشهيد) قال ابو شامة يؤرخ لوفاة سيف الدين سنة ٥٤٤هـ : « وكان كريما شجاعا ذا عزم وحزم . . . وبنى بالموصل المدرسة الاتابكية العتيقة ، وكانت من احسن المدارس واوسعها »(٢٢) .

وكانت هذه المدرسة مختلطة للشافعية والحنفية ، اذ جعلها سيف الدين « وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية »(٢٣) .

وممن درس فيها : ابو البركات عبدالله بن الحسين المعروف بابن الشيرجي(٢٤) . واحمد بن نصر بن الحسن ابو العباس الانباري المتوفى سنة ٥٩٨هـ .

وقد دفن سيف الدين بمدرسته .

(٣) المدرسة الكمالية

بنى هذه المدرسة كمال الدين محمد بن عبدالله

---

(١٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٣٨٥/٣ .
(١٦) الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان : ١٨٩ ـ ١٩٠ .
(١٧) رحلة ابن جبير : ٢١١ .
(١٨) ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب : ٣٩٩/١ .
(١٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٣٧٩/٣ .
(٢٠) السبكي ، طبقات الشافعية : ٢٧٥/٤ .
(٢١) سعيد الديوهجي ، الموصل في العهد الاتابكي : ١٢٤ .
(٢٢) ابو شامة ، الروضتين : ١٦٨ .
(٢٣) ابن الاثير ، اللباب : ٣٩٩/١ .
(٢٤) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٢٥٤/٢ ـ ٢٥٥ .

الشهرزوري الشافعي سنة ٥٧٢هـ الذي «تفقه ببغداد على اسعد المهيني ... وسمع الحديث من ابي البركات محمد بن محمد بن خميس الموصلي ، وتولى القضاء بالموصل وبنى بها مدرسة للشافعية »[٢٥] .

وذكرها السبكي في ترجمته لموسى بن ابي الفضل يونس بن منعة المولود سنة ٥٥١هـ : فقال عنه « وانه درس بعد وفاة والده في موضعه المعروف بالامير زين الدين ... وهذا المسجد يعرف الان بالمدرسة الكمالية »[٢٦] .

ونقل ابن الفوطي بصدد ترجمته لعزالدين ابو الرضا سعيد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري الموصلي الفاني تاج الدين يحيى بن القاسم ابن المفرج التكريتي في تاريخه وقال اسمع ابا بكر وجيه بن طاهر الشحامي . قال : « ولما توجهت الى الموصل وعلم فخرالدين بوصولنا انزلنا في المدرسة التي انشأها اخوه كمال الدين ... وكان مولد فخرالدين سنة ست وخمسمائة »[٢٧] .

وذكرها الصفدي في ترجمته للقاضي كمال الدين الشهرزوري وقال عنه « تفقه ببغداد على اسعد المهيني وولي قضاء بلده . . . وبنى بالموصل مدرسة »[٢٨] .

نستدل مما تقدم ان هذه المدرسة بنيت على شكل مسجد ونالت الشهرة عندما درس فيها كمال الدين الشهرزوري .

ولا تزال آثار بنايتها باقية في وقتنا هذا ، وهي تشرف على دجلة وتعرف « بمدرسة ابن يونس وبناية المدرسة في الوقت الحاضر تسمى جامع شيخ الشط »[٢٩] .

(٤) المدرسة الزينية

اورد ابن خلكان ذكر هذه المدرسة عرضا في ترجمته لمحمد بن يونس بن منعة عمادالدين الفقيه ، اذ قال : « ... وكانت الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية »[٣٠] . ويعتقد ان مؤسس هذه المدرسة هو زين الدين ابو الحسن بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣هـ[٣١] ، وزين الدين هذا له اوقافا كثيرة في الموصل من مدارس وغيرها ، ومن بين اوقافه المدرسة الزينية .

ويرى داود الجلبي[٣٢] ان هذه المدرسة هي المعروفة الان بمدرسة ابن يونس النحوي ، بينما يخالفه الديوهجي[٣٣] الذي يذهب الى ان موقع المدرسة غير معلوم ، بل عفت آثارها كما عفت مدارس ومعاهد كثيرة في الموصل .

(٥) مدرسة الجامع النوري

انشأها نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي في جامعة المعروف بالجامع النوري ، الذي بوشر ببنائه في سنة ٥٦٦هـ ، وبعد ان فرغ من عمارة الجامع ارتأى ان يبني فيه مدرسة فيجمع بين العبادة والعلم ، ولهذا بنى داخله هذه المدرسة ، ثم صادف بعد الفراغ من بنائها « ان قدم الموصل عمادالدين ابو بكر التوقاني الشافعي من اصحاب محمد بن يحيى فسأله ان يكون خطيبا ومدرسا في الجامع فرضي بهذا »[٣٤] .

(٦) المدرسة المهاجرية

مؤسس هذه المدرسة هو علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر ، فقد قال السبكي في ترجمته لمحمد ابن علوان بن مهاجر : « الامام شرف الدين ابو المظفر الموصلي ولد سنة اثنتين وخمسمائة وتفقه بالموصل على ابي البركات وابن السروجي ودرس بالمدرسة التي انشاها ابو علوان بالموصل وبمدارس اخرى مات بالموصل سنة خمس عشرة وستمائة »[٣٥] .

هذا ولا نعلم في اية سنة اسست هذه المدرسة ، فقد ذكر ابن ابي اصيبعة في سنة ٥٨٥هـ انه دخل الموصل وقال : « دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جيدا في الرياضيات والفقه قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء ... وعرضت علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها واقمت في الموصل سنة »[٣٦] .

---

(٢٥) ن. م : ٣٧٥/٢ .
(٢٦) السبكي ، طبقات الشافعية : ١٥٨/٥ .
(٢٧) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ١٧٥/٣ .
(٢٨) الصفدي ، الوافي بالوفيات : ٢٣١/٢ .
(٢٩) الديوهجي ، الموصل في العهد الاتابكي : ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٣٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٢٨٥/١ .
(٣١) الديوهجي ، الموصل في العهد الاتابكي : ١٢٧ ، داود الجلبي ، مخطوطات الموصل : ٦/١ .
(٣٢) مخطوطات الموصل : ٦ .
(٣٣) الموصل في العهد الاتابكي : ١٣٨ .
(٣٤) العمري ، منية الادباء : ٦٥ ـ ٦٦ .
(٣٥) السبكي ، طبقات الشافعية : ٣٢/٥ .
(٣٦) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء : ٢٠٤/٢ .

(٧) المدرسة المجاهدية

انشاها مجاهدالدين ابو منصور قيماز ، وكان بناؤها بعد ان انتهى مجاهدالدين من بناء الجامع سنة ٥٧٦هـ ، وان هذه المدرسة « كانت وقفا على الشافعية »(٣٧) فقد ذكر ابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٥هـ بصدد ترجمته لمجاهدالدين المذكور قائلا : « قيماز الرومي الملقب مجاهدالدين كان الحاكم في دولة نورالدين ارسلان شاه ... وكان عاقلا دينا خيرا فاضلا يعرف شيئا من الفقة الشافعي ... وله اثار حسنة من ذلك انه بنى جامعا بظاهر الموصل وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية »(٣٨) .

ولم نتمكن من معرفة احد من المدرسين الذين درسوا في هذه المدرسة ، كما انه لم يبق لها اثر في وقتنا الحاضر .

(٨) مدرسة عزالدين مسعود (المدرسة العزية)

بناها عزالدين بن مسعود بن قطب الدين المتوفى سنة ٥٨٩هـ ، وقد ترجم له ابن الفوطي وقال : « عزالدين ابو المظفر انذار بن الامير مسعود الموصلي كان من كبار الامراء بالموصل مشهور بالشهامة والشجاعة وانشا بالموصل مدرسة تسمى بالعزية »(٣٩) .

وقال ابن الاثير عن عزالدين بانه : « هو الذي ابتنى المدرسة الغربية بباب دار المملكة حسنة وكانت للفريقين الحنفية والشافعية ، وقد قرر للفقهاء ما ليس لمدرسة اخرى من الفواكه والحلواء والدعوات في المواسم »(٤٠) . وبعد وفاته دفن بمدرسته « واصاب الناس كلهم بموته فجيعة لم يصبهم مثلها ... ودفن بالمدرسة التي انشاها »(٤١) .

وقد وصف ابن خلكان المدرسة والتربة قائلا « ورايت المدرسة والتربة وهي من احسن المدارس »(٤٢) .

هذا ولم نتمكن من معرفة احد من مدرسي المدرسة العزية سواء الشافعية او الحنفية منهم ، كما لا نعلم عن مدة استمرار الدراسة فيها .

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٨٢/١٣ . السبكي : طبقات الشافعية : ٣٢/١ .
(٣٨) ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٨/٩ .
(٣٩) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ج ٤ ـ ق ١ : ١٥٣ .
(٤٠) ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية : ١٨٩ .
(٤١) ن. م : ١٨٦ .
(٤٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٢٩٥/٤ .

(٩) المدرسة اليوسفية

كانت هذه المدرسة واقعة على دجلة ، ولم نتمكن من معرفة مؤسسها ، وكانت للحنفية ، اذ اورد القرشي في الجواهر المضيئة ، بصدد ترجمته لابن السمين الموصلي حيث قال عنه : « ولد في رمضان سنة ٥٨٧هـ ، وكان من فقهاء الحنفية ودرس فقه الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه ـ بالمدرسة اليوسفية على دجلة »(٤٢) .

(١٠) مدرسة ابن بلدجي

كانت هذه المدرسة للحنفية انشاها ابو محمد محمود بن مودود البلدجي الموصلي (٥٤٣ـ٦٢٣هـ) وكان عالما وله مدرسة بالموصل ، وتخرج على يديه اولاده وغيرهم كثير وصار اولاده من بعده من علماء الحنفية البارزين . ولا اثر للمدرسة في وقتنا الحاضر (٤٤) .

(١١) مدرسة ام الملك الصالح

الملك الصالح هو اسماعيل بن نورالدين محمود ابن عمادالدين زنكي بن آق سنقر . قال ابن الاثير وهو يتحدث عن دور المملكة ان « اول من بنى بالقرب من دار المملكة الامير ناصرالدين بدري بن جقرمش ، فانه طلب من الشهيد ان يأذن له ليبني دارا قريبا من خدمته ... وامره ان يبني بمكان يكون بينه وبين القلعة مقدار حجر المنجنيق ، فبنى داره الاولى ، وهي اليوم مدرسة وقفتها ام الملك الصالح »(٤٥) ولا نعرف من مدرسي هذه المدرسة اي واحد منهم ، كما لا نعرف متى توقفت الدراسة فيها كما اننا نجهل السنة التي اسست فيها .

(١٢) المدرسة العلائية

لا يعرف من هو مؤسس هذه المدرسة ، غير ان ابن خلكان(٤٦) ذكرها في جملة المدارس التي درس فيها عمادالدين بن يونس المتوفى سنة ٦٠٨هـ ، كما لا نعرف هل استمرت الدراسة فيها بعد وفاته ام لا ؟ وكانت هذه المدرسة للشافعية .

(٤٢) القرشي ، الجواهر المضية : ١٩٨/٢ ـ ١٩٩ .
(٤٤) الديوجي ، الوصل في العهد الاتابكي : ٩٨ .
(٤٥) الباهر في الدولة الاتابكية : ١٣٠ .
(٤٦) وفيات الاعيان : ٢٨٥/٢ .

(١٣) المدرسة النفيسية

وهي المدرسة الاخرى التي لم يعرف من هو مؤسسها . فقد ذكرها ابن خلكان بصدد ترجمته لاحد مدرسيها وهو عمادالدين بن يونس الفقيه الشافعي حيث قال : « محمد بن يونس بن محمد ابن منعة عمادالدين الفقيه الشافعي ، كان قد تفقه في النظامية وكان معيدا بها ... وعاد الى الموصل ودرس بها في عدة مدارس هي المدرسة النورية والعزية والزينبية والنفيسية والعلائية »(٤٧) .

يستنتج من هذا ان بعض المعيدين في مدارس بغداد كان يعين مدرسا في غيرها من المدن خارج بغداد ، كما ان هذه المدرسة كانت قائمة قبل وفاة عمادالدين سنة ٦٠٨هـ ، شانها شان المدارس الاخرى المذكورة معها .

ويستنتج ايضا ان المدرس كان يدرس في اكثر من مدرسة واحدة في آن واحد تبعا لاوقات الفراغ المتوفرة له .

اما عن تسمية المدرسة بهذا الاسم فيقول الدبوجي « انه في الموصل عدة اماكن تسمى باسم الست نفيسه ؛ وان بدرالدين لؤلؤ اتخذ فيها مقاما للست نفيسة »(٤٨) .

(١٤) المدرسة القاهرية

بناها الملك القاهر عزالدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر المتوفى سنة ٦١٥هـ . وقد ذكرها ابن خلكان بصدد ترجمته لكمالالدين ابي الفتح موسى بن شيخ رضي الدين ابي الفضل يونس بن محمد بن منعة الذي « كان اماما كبيرا فاضلا وهو من بيت العلم . . . وتخرج عليه جماعة كبيرة وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفرالدين صاحب اربل رحمهالله ... ثم انتقل الى الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة ؛ وفوضت اليه المدرسة القاهرية ، واقام بها الى ان توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وستمائة وعندما توفي القاهر دفن في مدرسته »(٤٩) .

وكانت المدرسة القاهرية من مدارس الشافعية، ولا نعلم فيما اذا استمرت الدراسة فيها بعد سنة ٦٢٢هـ ام انها توقفت .

(١٥) المدرسة البدرية

تنسب هذه المدرسة الى بدرالدين لؤلؤ الذي تسلطن في الموصل بين سنتي (٦١٧ ـ ٦٥٧هـ) ، وكانت الموصل في ايامه ام البلاد ونزهة العباد ، وعندما توفي سنة ٦٥٧هـ دفن بمدرسته التي انشأها على دجلة وهي التي فيها مشهد الامام يحيى بن القاسم(٥٠) .

وقد ذكر ابن كثير هذه المدرسة ايضا في ترجمته لمهاجر بن علي فقال : « ابن مهاجر علي بن مهاجر الموصلي تفقه بالنظامية وسمع الحديث ثم عاد الى الموصل فساد اهل زمانه بها ، وتقدم في الفنون والتدريس بمدرسة بدرالدين لؤلؤ وغيرها وكان صالحا دينا »(٥١) .

وكانت هذه المدرسة واقعة شمال الموصل .

(١٦) المدرسة النورية

بناها نورالدين ارسلان شاه بعد وفاة والده عزالدين مسعود ؛ وكان شهما عارفا بالامور « انتقل الى المذهب الشافعي ، ولم يكن في بيته شافعي سواه »(٥٢) . والظاهر انه بنى المدرسة النورية وجعلها لخدمة المذهب الشافعي فقد ذكر الخزرجي بان نورالدين هذا « بنى مدرسة في الموصل قل ان توجد في حسنها » وظلت هذه المدرسة قائمة الى ان توفي نورالدين ليلة الاحد التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستمائة ... ودفن في تربته التي بمدرسته المذكورة »(٥٣) .

وقد تمكنا من معرفة احد مدرسي هذه المدرسة وهو ابو الفضل محمد بن يونس بن منعة(٥٤) .

(١٧) المدرسة البقشية

جاء ذكر هذه المدرسة عرضيا في (تلخيص مجمع الاداب) في ترجمة عمادالدين ابو الفضل محمد بن يونس بن منعة الموصلي المدرس الذي « تفقه على والده وقرأ عليه ودخل بغداد وتفقه بالنظامية وعاد الى الموصل ودرس في خمس مدارس وهي النورية والعزية والزينبية والبقشية »(٥٥) .

ولا نعلم شيئا عن المدرسين الاخرين ممن درسوا في هذه المدرسة كما لا نعلم متى توقفت الدراسة فيها .

---

(٤٧) ن. م : ٣٨٥ .
(٤٨) الوصل في العهد الاتابكي : ١٥٢ .
(٤٩) وفيات الاعيان : ٩٠/١ .
(٥٠) العمري ، منية الادباء : ٦٥ ـ ٦٦ .
(٥١) البداية والنهاية : ٨٢/١٣ .
(٥٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١٧٢/١ . الخزرجي ، العسجد المسبوك : ورقة ١٢١ .
(٥٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١٧٣/١ .
(٥٤) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ١٢٧/٤ .
(٥٥) ن. م : ١٢٧/٤ . وانظر تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني ص ٢٦٣ ـ الحاشية .

مدارس واسط :

زخرت مدينة واسط في خلافة العباسيين بعدد من المدارس التي كان لها شهرة كبيرة في البلاد واهم هذه المدارس :

(١) مدرسة خطلبرس

ذكر ابن الدبيثي هذه المدرسة في ترجمته لجعفر بن ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة ابو طالب ابن ابي البدر ابن الوزير ابي ظفر ، وقال عنه « من بيت معروف بالعقل والرياسة والتقدم ... تولى الاشراف بالديوان المعمور بواسط في سنة ست وستمائة وصار اليها ؛ وفي سنة سبع وستمائة ولي النظر بالديوان المذكور واقام هناك الى ان توفي يوم الخميس سادس عشر جمادي الاولى سنة عشر وستمئة فدفن بها بمدرسة خطلبوس اعلى البلد »(٥٦) .

ويعتقد البعض(٥٧) ان هذه المدرسة منسوبة الى خطليرس (خطلوبراس) المقتول في سنة ٥٦١هـ وكانت تقع في الجانب الشرقي من المدينة على مقربة من دجلة ، ولم نتمكن من الوقوف على اخبار مدرسيها ولا عن احوال طلابها .

(٢) مدرسة الفزنوي

موقع هذه المدرسة بمحلة الوراقين بواسط ، وكانت من مدارس الحنفية اذ ذكرها القرشي في (الجواهر المضيئة) عند ترجمته لمحمد بن عبدالرحمن ابي الفضل الفزنوي وقال : « قدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمئة وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ثم انتقل الى واسط فسكنها الى حين وفاته سنة ثلاث وستين وخمسمئة في مدرسته بمحلة الوراقين ، وكان يوم وفاته مشهودا »(٥٨) .

ولا نعلم فيما اذا كانت الدراسة قد استمرت في هذه المدرسة بعد وفاة مؤسسها ام انها توقفت .

(٣) مدرسة ابن الكيال الواسطي

كانت هذه المدرسة للحنفية ، ورد ذكرها في (الجواهر المضيئة) في ترجمة نصرالله الكيال وهو « نصر الله بن علي بن منصور بن علي بن الحسين الواسطي ابو الفتح القاضي المعروف بابن الكيال ، قرا القرآن الكريم بالروايات العشر على ابي القاسم علي بن محمد بن جعفر وسمع منه الحديث ومن غيره... قدم بغداد في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وهو شاب يطلب العلم وعلق مسائل الخلاف عن الحسن بن سلامة المنبجي وعن القاضي ابراهيم الهيتي حتى برع ؛ وتكلم في مجالس المناظرة وقرأ الادب على ابي منصور الجواليقي ؛ ثم عاد الى واسط ودرس في مدرسة تعرف به »(٥٩) .

ويبدو ان الدراسة استمرت في مدرسة ابن الكيال بعد وفاته (التي نجهل تاريخها) ؛ يدل على ذلك ما ذكره ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٥هـ وهو يترجم لابنه عبداللطيف بن نصر الله الكيالي . حيث قال : « ابو المحاسن عبداللطيف بن نصر الله ابن علي بن منصور بن الحسن الواسطي المعروف بابن الكيال قاضي واسط ومشرف على ديوانها . تولى القضاء بواسط مدة بعد ابيه ، وكان فيه فضل وعنده معرفة بمذهب ابي حنيفة رحمه‌الله ، درس الفقه بواسط بعد والده في مدرسة بها للحنفية»(٦٠) .

(٤) مدرسة محمد بن ورام

ذكر الدكتور ناجي معروف هذه المدرسة نقلا عن آخر مخطوطة «تاريخ واسط» لبحشل الواسطي ـ التي لم اتمكن من الاطلاع عليها ـ بصدد سماع البعض له : « سمع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل وذلك بواسط في مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام نورالله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع وعشرين ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة »(٦١) .

وممن درس في هذه المدرسة الحسن بن احمد ابو علي بن عبدالله الواسطي المتوفى سنة ٥٧٦هـ ؛ ولا نعلم فيما اذا استمرت الدراسة فيها ام انها توقفت بعد هذا التاريخ .

(٥) المدرسة الشرابية

امر بانشاء هذه المدرسة شرف الدين ابو الفضائل الشرابي ؛ وكانت للشافعية بالجانب الشرقي من واسط على دجلة ؛ وقد جاء في (الحوادث الجامعة) وصفا عن افتتاح هذه المدرسة سنة ٦٣٢هـ وعن فقهائها ؛ حيث اورد بان هذه المدرسة كانت مجاورة «لجامع كان داثرا فامر (شرف الدين الشرابي)

---

(٥٦) ابن الدبيثي ، التاريخ المذيل به على تاريخ بغداد لابي سعد بن السمعاني : ورقة : ١٤٩ .
(٥٧) د. ناجي معروف ، مدارس واسط : ١٦ .
(٥٨) القرشي ، الجواهر المضية : ١٥٤/٢ .
(٥٩) ن. م : ١٩٨ .
(٦٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٢٨٠/٩ ـ ٢٨١ .
(٦١) د. ناجي معروف ، مدارس واسط : ١٩ . وانظر ايضا تاريخ واسط لبحشل : ٢٩٥ .

بتجديد عمارته ورتب به مدرسا للعدل احمد بن نجا الواسطي ؛ ورتب بها معيدان وعشرين فقيها »[٦٢] .

ويستدل من هذا العدد الكبير للفقهاء على سعة المدرسة ، ويجعلنا نعتقد بانها كانت من اوسع مدارس واسط .

ومن الطريف ان الخلع قد خلعت على من تولى عمارة هذه المدرسة من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها ؛ وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان ابن الدباهي والناظر بواسط والقاضي والنقيبان والقراء والشعراء ؛ وكان المتولي لعمارتها والذي جعل النظر اليه والى عقبه في وقفها ابو حفص عمر بن ابي بكر بن اسحق الدوركي[٦٣] .

ويرى الاستاذ يعقوب سركيس ان المدرسة البرانية هي المدرسة الشرابية التي بناها اقبال الشرابي بواسط اذ يقول « ولعل هذه المدرسة الشرابية هي المنعوتة بالبرانية التي درس فيها يحيى ابن عبدالملك ابو زكرياء الواسطي المتوفى في واسط سنة ٧٣٨هـ »[٦٤] .

مدارس اربيل :

تعد مدينة اربيل من المدن العراقية المهمة في اواخر العصر العباسي ، وقد قامت فيها بعض المدارس التي لا تختلف في جوهرها عن مدارس العراق الاخرى ، واهم تلك المدارس هي :

(١) المدرسة العقيلية

وهي اقدم مدارس اربيل وكانت للشافعية : فقد ذكر ابن الفوطي في ترجمته لعلم الدين ابو البركات محمد بن عبدالسلام بن محمد بن عبدالعزيز ابن هبةالله ابن الخطيب السنجاري فقال عنه :

« كانت الخطابة بسنجار في آبائه واجداده ، باربيل بالمدرسة العقيلية ، ثم اتصل بمظفر الدين كوكبرى وصار من المشيرين اليه ، وانفذه الى بغداد رسولا وتولى القضاء بملطية »[٦٥] .

وتنسب المدرسة العقيلية الى ابن عقيل ابن العباس الخضر بن نصر بن عقيل الاربلي ، الذي ولد هناك سنة ٤٨٧هـ ، وقصد بغداد لدراسة فقه الشافعي فاتقنه ، وعاد الى اربل وبنى له بها الامير ابو منصور سرفتكين الزيني نائب صاحب الموصل مدرسة القلعه سنة ٥٣٢هـ . ودرس فيها زمانا . وهو اول من درس باربلي ؛ وتوفي سنة ٥٦٧هـ ودفن بالمدرسة[٦٦] .

وعليه يكون تاسيس هذه المدرسة في سنة ٥٣٢هـ ؛ واول مدرسيها هو الخضر بن نصر بن عقيل الاربلي ، ودرس بها ايضا محمد بن عبدالسلام ابن عبدالعزيز بن هبة الله السنجاري ـ الذي قدمنا ترجمته ـ وما عداهما لا نعرف احدا من مدرسيها الاخرين .

(٢) مدرسة اربل (مدرسة الملك المعظم مظفرالدين ابن زين الدين)

لا يعرف من هو مؤسس هذه المدرسة على وجه التحديد ، ولكنها كانت للشافعية ، حيث ذكرها السبكي في طبقاته اثناء ترجمته لاحمد بن ابراهيم ابن ابي بكر بن خلكان البرمكي فقال : « قاضي القضاة شمس الدين بن شهاب الدين ؛ تفقه على والده بمدرسة اربل ، ثم انتقل بعد ابيه الى الموصل ، وحضر دروس الامام كمال الدين بن يونس . . . ومن مصنفاته كتاب وفيات الاعيان وهو كتاب جليل ، توفي بدمشق في سنة احدى وثمانين وستمائة في رجب »[٦٧] .

ويبدو ان هذه المدرسة كانت موجودة قبل سنة ٦٠٨هـ وتمثل هذه السنة تاريخ ولادة ابن خلكان .

وممن درس في مدرسة اربل احمد بن موسى الاربلي الشافعي الذي ترجم له ابن خلكان قائلا :

« ابو الفضل احمد بن الشيخ العلامة كمال الدين ابي الفتح موسى بن شيخ رضي الدين ابي الفضل يونس بن محمد بن منعة . . . كان اماما كبيرا وهو من بيت العلم وتخرج عليه جماعة كبيرة وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل رحمه الله . . . وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة عشرة وستمائة . . . وكنت احضر دروسه وانا صغير »[٦٨] .

ويستنتج من هذا وجود علاقة بين بعض مدارس اربل ومدارس الموصل بدليل انتقال بعض المدرسين من مدرسة في الموصل الى مدرسة في اربل .

---

(٦٢) الحوادث الجامعة : ٧٦ .
(٦٣) ن. م : ٧٦ .
(٦٤) د. ناجي معروف ، مدارس واسط : ١٩ .
(٦٥) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ٤/ق١ : ٦٢٢ .
(٦٦) ن. م : الحاشية : ٦٢٢ .
(٦٧) السبكي ، طبقات الشافعية : ٥/٢٠٣ .
(٦٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١/٩٠ .

ويدل ايضا على تشابه العلوم التي كانت تدرس بتلك المدارس .

ولعل تسمية مدرسة اربل بمدرسة الملك المعظم مظفرالدين بن زين‌الدين ، تعود الى اهتمام هذا الامير بامور هذه المدرسة وتنشيطه للحركة التدريسية فيها .

(٣) مدرسة مجاهد الدين

ومن بين مدارس اربيل التي كانت قائمة في العصر العباسي الاخير هي مدرسة مجاهدالدين ، وهو عتيق زين‌الدين ابي سعيد بن بكتكين والد المعظم مظفرالدين صاحب اربل وهو من اهل سجستان ، اخذ منها صغيرا ، وقدمه معتقه عندما جعله اتابك اولاده وفوض اليه امور اربل فأحسن السيرة ، وبنى باربل مدرسة وخانقاه واكثر وقفهما، ثم انتقل الى الموصل ... وتوفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقلعة الموصل(٦٩) .

ولم نتمكن من معرفة احد من مدرسي هذه المدرسة ، ومثل ذلك لا نعلم فيما اذا استمرت الدراسة فيها بعد انتقال مجاهدالدين من اربيل الى الموصل ووفاته في الاخيرة سنة ٥٩٥هـ ام لا ؟ ـ

مدارس البصرة :

لم تكن البصرة لتخلو من بعض المدارس في اواخر العصر العباسي ، واهم مدارسها التي تعرفنا عليها في هذا البحث هي :

(١) المدرسة النظامية

امر بتشييد هذه المدرسة الوزير السلجوقي نظام الملك(٧٠) ، الذي اشتهر بانشائه المدارس للشافعية .

ومما يؤسف له اننا لم نتمكن من معرفة احد من المدرسين الذين درسوا في هذه المدرسة ، ولا عن معيديها والمتولين لادارتها .

(٢) مدرسة الشيخ حسن بن دويرة

انشأ هذه المدرسة الشيخ حسن بن دويرة في البصرة ، فقد ذكر صاحب (شذرات الذهب) في ترجمته للامام نورالدين ابو طالب عبدالرحمن بن عمر بن ابي القاسم بن علي بن عثمان البصري الغدير الفقيه الحنبلي نزيل بغداد ، فقال: «ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سنة اربع وعشرين وستمائة بقرية من قرى البصرة وحفظ القرآن بالبصرة سنة احدى وثلاثين وسمع بالبصرة من ابن دويرة ، وكان بارعا في الفقه له معرفة بالحديث والتفسير ، ولما توفي شيخه ابن دويرة بالبصرة تولى التدريس بمدرسة شيخه »(٧١) .

ومما يجدر ذكره ان عبدالرحمن بن عمر بن ابي القاسم هو احد مشايخ المدرسة المستنصرية ببغداد، فقد ذكر الصفدي في ترجمته ما نصه : «عبدالرحمن ابن القاسم الشيخ الامام نورالدين ابو طالب البصري الحنبلي مدرس طائفته بالمدرسة المستنصرية ببغداد، مولده سنة اربع وعشرين وستمائة ووفاته يوم عيد الفطر سنة اربع وثمانين وستمائة ، كان من العلماء المجتهدين، عين اولا بمدرسة الحنابلة بالبصرة فدرس بها مدة وانتفع منه خلق كثير ... ومن تصانيفه كتاب جامع العلوم في كتاب الحي القيوم اربع مجلدات ، والحاوي في الفقه كتاب جليل القدر كثير الفوائد »(٧٢) .

ونستنتج من هذا عدة استنتاجات منها ان هذه المدرسة كانت للحنابلة ، وان هناك تأثيرا ثقافيا متبادلا بين مدارس بغداد ومدارس مدن العراق الاخرى بضمنها البصرة ، فضلا عن ان نوعية المواد والعلوم كانت متشابهة ، تعتمد في الاساس على العلوم الدينية كالتفسير والفقه ، يضاف الى هذا كله فان مدرسة ابن دويرة كانت من المدارس المهمة في البصرة بدليل ان الشيخ عبدالرحمن بن عمر كان من علماء المستنصرية المشهورين ودرس بها .

ولا نعلم فيما اذا كانت الدراسة قد توقفت في هذه المدرسة بعد سنة ٦٨٤هـ ام انها استمرت بعد هذا التاريخ ، اذ ان اخبارها تطوى عنا .

(٣) مدرستا باتكين آقسنقر باتكين

انشأ باتكين آقسنقر باتكين مدرستين في البصرة احداهما للحنابلة والاخرى للطب ، وذلك عندما سلمت البصرة له بحربها وخراجها ، وقد ذكر

---

(٦٩) ن. م : ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .
(٧٠) السبكي ، طبقات الشافعية : ١٣٧/٣ . د. حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي : ٣٨٠ .
(٧١) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : ٢٧/٥ ـ ٢٨ .
(٧٢) الصفدي ، نكت الهميان : ١٨٩ ـ ١٩٠ .

ابن الساعي في حوادث سنة ٥٩٥هـ عن باتكين المذكور « انه اقام في البصرة ثلاثا وعشرين سنة فعمرها وجدد مدارس كانت بها ؛ وقد دثرت ؛ وانشأ مدرسة للحنابلة ولم يكن يعرف بالبصرة لهم مدرسة ؛ وعمل مدرسة يقرأ فيها علم الطب ؛ ووقف في جميع المدارس كتبا وانتشر العلم في زمانه »(٧٢) .

يتبين لنا من هذا النص وجود مدارس اخرى في البصرة كانت قائمة ودثرت قبل سنة ٥٩٥هـ ، وطويت عنا اخبارها ولم نتمكن من معرفة اسمائها واسماء مؤسسيها .

ويمكن الاستنتاج ايضا بان مدرسة الطب التي انشأها باتكين آق سنقر باتكين كانت لتدريس العلوم الطبية . وبهذا كانت بعض المدارس قد انشئت الى جانب المدارس الدينية وهذه هي المدرسة الوحيدة من بين مدارس العراق التي كان يدرس فيها الطب بصورة مستقلة .

واخيرا فان اهم ما يلاحظ على مدارس البصرة التي وصلت الينا اخبارها ان معظمها كانت للحنابلة باستثناء المدرسة النظامية التي كانت للشافعية .

مدارس اخرى :

الى جانب مدارس المدن المهمة التي تعرفنا عليها في الموصل وواسط واربيل والبصرة، استطعنا في هذا البحث ايضا معرفة مدارس اخرى ، وهذه المدارس هي :

(١) مدرسة سنجار

كانت هذه المدرسة للحنفية ، انشأها مجاهد الدين يرنقش في سنة ٥٩٤هـ ؛ عندما تولى تدبير دولة قطب الدين محمد بن زنكي . وكان دينا عادلا خيرا حسن السيرة ؛ قال عنه ابن الاثير : « انه كان شديد التعصب على المذهب الشافعي رضي‌الله‌عنه ، يكثر ذم الفقهاء الشافعية ويقع فيهم ؛ فمن تعصبه انه بنى للحنفية مدرسة بسنجار وشرط ان يكون النظر في وقوفها الى الحنفيين من اولاده دون الشافعيين »(٧٤) .

واضاف الخزرجي بان مجاهدالدين قد« شرط ان يكون البواب والفراش على مذهب ابي حنيفة رحمه‌الله »(٧٥) .

نستنتج مما تقدم بان هذه المدرسة انشئت لمنافسة المذهب الشافعي ، بدليل ان مجاهدالدين كان يكثر ذم فقهاء هذا المذهب ، ومن ذلك انه جعل حتى الفراشين والبوابين من الفقهاء الحنفية .

وممن درس في مدرسة سنجار علي‌بن الحسين ابن علي بن سعيد بن حامد السخاوي المعروف بابن ديانة الذي جاءت ترجمته في (الجواهر المضية) بانه « روى عن والده شيئا ودرس بالمدرسة العمادية بسنجار وكان فقيها فاضلا وله معرفة بالادب ؛ توفي في ذي الحجة سنة اثنتين واربعين وستمائة باربل »(٧٦) .

ولا نعلم متى‌توقفت‌الدراسة في هذه المدرسة، ومثل ذلك فاننا لم نعرف‌احدا من المدرسين‌الاخرين الذين درسوا بها .

(٢) مدرسة جزيرة ابن عمر (مدرسة رضي‌الدين)

امر بانشاء هذه المدرسة الوزير نظام الملك السلجوقي الذي كان « اقرب الناس منهم واحبهم اليه العلماء »(٧٧) . وكانت صدقاته ووقوفه لا حد لها ، ومدارسه في العالم الاسلامي مشهورة ؛ حتى انه لم يغفل عن بناء مدرسة في جزيرة ابن عمر حيث بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة وهي التي تعرف بمدرسة رضي‌الدين »(٧٨) .

وبديهي ان هذه المدرسة كانت للشافعية ؛ ما دامت قد امر بانشائها الوزير نظام الملك السلجوقي الذي كان هدفه تعضيد المذهب الشافعي متخذا المدارس وسيلة لتحقيق ذلك .

ولا نعلم سنة بناء هذه المدرسة ، ولكنها كانت موجودة قبل سنة ٤٨٥هـ وهي سنة وفاة الوزير نظام الملك .

---

(٧٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩/٧٥ – ٧٦ .
(٧٤) ابن الاثير ، التاريخ الباهر : ١٩١ .
(٧٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك : ورقة ١٠١ .
(٧٦) القرشي ، الجواهر المضية : ٢٦١ .
(٧٧) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل تحيط بها دجلة على شكل هلال واحاط الماء بها بعد حفر يصل بين طرفي الهلال . (ياقوت ، معجم البلدان : ٢/١٠٢ – ١٠٣) .
(٧٨) ابو شامة ، الروضتين : ١/٦٢ .
(٧٩) ن. م : ١/٦٢ .

★ ★ ★

المصادر والمراجع

١ – ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٨٨هـ/١٢٦٩م) : عيون الانباء في طبقات الاطباء جـ ٢ ؛ المطبعة الوهبية ١٣٠٠هـ) .

٢ – ابن الاثير ، عز الدين محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (دار الكتب الحديثة بالاشتراك مع مكتبة المثنى . سنة الطبع بلا) .

آ ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ (المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٢٩٠هـ) .

٤ ـ ابن الاثير : اللباب في تهذيب الانساب .

٥ ـ ابن جبير ، محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) : رحلة ابن جبير ، دار صادر . دار بيروت ١٩٥٩) .

٦ ـ ابن جماعة ، ابراهيم بن ابي الفضل سعد الله الكناني (ت ٧٣٣هـ) ، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم (حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٥٢هـ) .

٧ ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : مقدمة ابن خلدون (مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة) .

٨ ـ ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) : (وفيات الاعيان في انباء ابناء الزمان ، ٦ اجزاء تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط (نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧هـ) .

٩ ـ ابن الدبيثي ، محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٧م) : التاريخ المذيل بـه على تاريخ ابن السمعاني جـ ١ ـ ٢ (نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ـ جامعة بغداد) .

١٠ـ ابن الساعي : علي بن انجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير جـ ٩ ، عني بنشره د. مصطفى جواد (المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ١٩٣٤) .

١١ـ ابن الصابوني ، جمال الدين محمد بن علي (ت ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) : تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب ، حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٥٧) .

١٢ـ ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) : شذرات الذهب في اخبار من ذهب جـ ٥ (طبعة بيروت) .

١٣ـ ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرزاق (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) : تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، جـ ٤ ـ القسم الاول ـ الثالث ، تحقيق د . مصطفى جواد (المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥) .

١٤ـ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية في التاريخ جـ ١٣ (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢) .

١٥ـ ابو شامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) : الروضتين في اخبار الدولتين النوريه والصلاحية ، نشر الدكتور حلمي محمد احمد ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥) .

١٦ـ امين ، الدكتور حسين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٥) .

١٧ـ الاهواني ، احمد فؤاد ، التربية في الاسلام أو التعليم في راي القابسي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٩) .

١٨ـ بحشل الواسطي ، اسلم بن سهل الرزاز بن خبيب الواسطي (ت ٢٩٢هـ) : تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد (نشر المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٦٧) .

١٩ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المنسوب خطأ لعبدالرزاق بن الفوطي، تحقيق د. مصطفى جواد (مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥١هـ) .

٢٠ـ الجلبي ، الدكتور داود ، مخطوطات الموصل (مطبعة الفرات ، بغداد ١٩٢٧) .

٢١ـ الخزرجي ، ابن الحسن علي ابو الحسن (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م) : العسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك (نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ـ بكلية الاداب ـ جامعة بغداد) .

٢٢ـ الديوه‌جي ، سعيد ، الموصل في العهد الاتابكي (مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٥٨) .

٢٣ـ الزرنوجي ، برهان الاسلام (ت ٥٧١هـ) : تعليم المتعلم طريق التعلم (استانبول ١٣٠٧هـ) .

٢٤ـ السبكي ، عبدالوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) : طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ (المطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٤هـ) .

٢٥ـ شبلي ، الدكتور احمد ، تاريخ التربية الاسلامية (دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٤) .

٢٦ـ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) : نكت الهميان في نكت العميان (المطبعة الجمالية ، مصر ١٩١١) .

٢٧ـ الوافي بالوفيات ج ٣ ، نشر محمد بن عبدالله ومحمد ابن محمود (المطبعة الهاشمية ، دمشق ١٩٥٩) .

٢٨ـ العمري ، ياسين بن خيرالله العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، مطبعة الهدف ، الموصل ١٩٥٥) .

٢٩ـ غنيمة ، محمد عبدالرحيم ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، تطوان ١٩٥٣ .

٣٠ـ عشتوق ، الدكتور عبدالله ، تاريخ التربية (مطبعة الكشاف ، بيروت ١٩٣٧) .

٣١ـ معروف ، الدكتور ناجي ، مدارس واسط (مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٦) .

٣٢ـ معروف ، الدكتور ناجي والدكتور عبدالعزيز الدوري، موجز تاريخ الحضارة العربية (بغداد ١٩٥٧) .

٣٣ـ القرشي ، محيي الدين بن ابي الوفاء محمد بن محمد ابن نصرالله بن سالم بن ابي الوفاء : الجواهر المضية في طبقات الحنفية جـ ٢ (حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٣٢هـ) .

٣٤ـ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) : معجم البلدان ٥ أجزاء (ليبسك ١٨٦٦ ـ ١٨٧١) .

٣٥ـ بروكلمان ، كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ٢ ، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي ، بيروت ١٩٤٩).